

سأله الناس ما كان  
ظلم كلامه

# خاتمة بنت خويلد

الجزء الأول

الظاهرة

بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد

بريشة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

سكك الوفاء الوفاء الوفاء الوفاء الوفاء الوفاء الوفاء الوفاء الوفاء الوفاء



هذه السيدة هي خير نساء الجنة ، كما قال رسول الله ﷺ .  
 كان الرسول ﷺ يحبها حباً عظيماً ، حتى إنه كان دائم  
 الذكر لها والثناء عليها بعد موتها ، لدرجة جعلت السيدة  
 عائشة تشعر بالغيرة منها ، وتغبطها على مكانتها من  
 رسول الله ﷺ ، حتى إنها قالت له ذات يوم مداعبة :  
 - هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها ؟

فغضب الرسول ﷺ وقال في حسم :  
 - لا ، والله ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي إذ كفر  
 الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ  
 حرمني الناس . ورزقني الله منها الولد دون غيرها من  
 النساء !

وعندئذ علمت السيدة عائشة المكانة التي تحتلها هذه  
 السيدة في قلب الرسول ﷺ ، وأدركت أنه من الصعب  
 أن تحتل إحدى زوجات النبي ﷺ هذه المكانة أبداً ..  
 إنها السيدة ( خديجة بنت خويلد ) التي كانت تلقب  
 في الجاهلية بالطاهرة لطهاره سيرتها ونقاء سريرتها ،  
 كما كانت تعرف بأنها سيدة نساء قريش .  
 تزوجت في الجاهلية من ( هند بن زرة ) ثم من







( عتيق ابن عائذ ) ، وبعد وفاتهما ورثت عنهما مالا كثيرا ، فساعدتها ذلك على أن تعمل بالتجارة ، وسرعان ما تبوأَت مكانتها بين التجار ، وصار كثير من الرجال يعملون لديها ، وكان أشرف مكة يتمنون الزواج بـ ( خديجة ) لمكانتها وحسبها وجمالها ، لكنها كانت ترفض ذلك لعدم كفاءة هؤلاء لها .

وشاءت إرادة الله أن يكون اللقاء بين محمد ﷺ وبين ( خديجة ) ، فقد علم عمه ( أبو طالب ) أنها تجهز لخروج تجارتها إلى الشام ، فقال لابن أخيه :

- يا بن أخي ، أنا وجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان علينا ، وقد بلغتني أن ( خديجة ) استأجرت فلانا ليعمل لديها ، فهل لك أن أكلمها ؟

فقال محمد ﷺ :

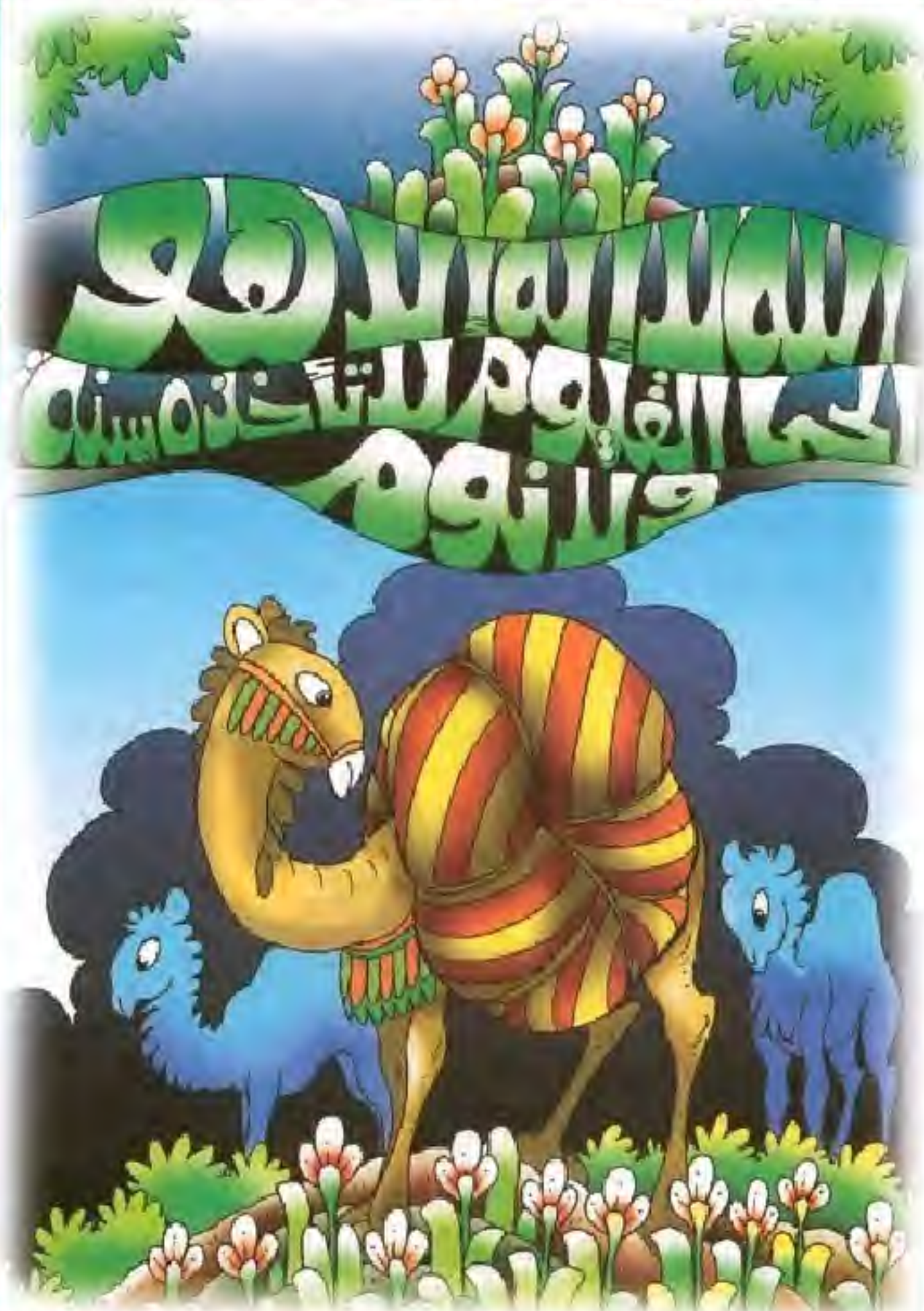
- ما أحببت !

فخرج أبو طالب إليها ، فقال لها :

- هل لك يا ( خديجة ) أن تستأجري ابن أخي ؟ فقد بلغنا أنك استأجرت فلانا .

ف قالت خديجة :







- على الرُّحْبِ والسَّعةِ يا (أبا طالب) .

فقال (أبو طالب) :

- ولكننا لا نرضى أن يكون أجره كأجر أقرانه ، فهو من هو كما تعرفين !

فقالت (خديجة) :

- لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا ، فكيف وقد سألته لحبيب قريب !

وعاد (أبو طالب) إلى ابن أخيه ليبشره بهذا الأمر ، وقال له :

- هذا رزق قد ساقه الله إليك .

وخرج (محمد) ﷺ مع (ميسرة) غلام السيدة (خديجة) إلى الشام ، وفي الطريق وقف النبي ﷺ تحت ظل شجرة ، بينما ذهب (ميسرة) لقضاء بعض حاجته فسأله أحد الرهبان قائلاً :

- من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟

فقال له (ميسرة) :

- هذا رجل من قريش من أهل الحرم .



فقال له الراهب :

- ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي !

وواصل الرسول ﷺ السير هو و ( ميسرة ) حتى وصلا إلى الشام ، وهناك التقى التجار برجل من طراز فريد ، رجل حسن الحديث ، أمين لدرجة لم يعهدوها ، استطاع أن يكسب ودّهم وثقتهم في سهولة ويسر ، ونجح في أول مهمة له نجاحا منقطع النظير ، حيث ربحت القافلة أضعاف ما كانت تربح في المرات السابقة . وعاد ( محمد ) ﷺ من رحلته رابحا مظفرا ، وفي طريق عودته - وكان الوقت ظهرا - شعر كل من كان بالقافلة بالتعب والإعياء بسبب شدة الحر ، إلا ما كان من أمر ( محمد ) ﷺ ، فقد أرسل الله غمامة تسير معه وتظله أينما سار ، ولاحظ ذلك ( ميسرة ) ومن كان معه . ولما رجع ( ميسرة ) إلى السيدة ( خديجة ) وسألتها عن الرحلة ، ولم تحس أن تسأله عن ( محمد ) ، أخبرها ( ميسرة ) عن عذوبة حديثه ورقته في المعاملة مع الناس ، على أن أهم ما لفت نظر السيدة ( خديجة ) ، كان حديث الراهب عن ( محمد ) ﷺ وأنه سيكون نبيا لهذه الأمة .







وتذكّرت ( خديجة ) في هذه اللحظة موقفاً عجيباً  
أكد هذه النبوءة ، فقد اجتمعت نساء أهل مكة في عيد  
لهن ، فظهر لهن رجلٌ وناذى بأعلى صوته :

- يا نساء مكة ، إنه سيكون في بلدكن نبيٌ يقال له :  
( أحمد ) ، فمن استطاعت منكن أن تكون زوجاً له فلتفعل .  
واستبشرت ( خديجة ) خيراً في نفسها ، لأن النساء  
حملن الحجارة ورمين بها هذا الرجل ، إلا هي فقد أخذت  
الأمر بجدية ، وعرضته على عقلها وقلبها ، فأحسّت أن  
الأقدار تخبئ لها أنباء سعيدة .

وقننت ( خديجة ) أن تصبح زوج ( محمد ) ، وأحسّت  
نحوه بحبٍ شديدٍ وعاطفة صادقة ، ولم تخف مشاعرها ،  
فقد أبدت رغبتها في الزواج من ( محمد ) لصديقة لها وطلبت  
منها أن تختبر مشاعر ( محمد ) ورغبته في الزواج منها  
وذهبت صديقة ( خديجة ) إلى ( محمد ) ، فقالت له :  
- ما يمنعك أن تتزوج ؟

فقال :

- ما بيدي ما أتزوج به .

فقالت :







- فَإِنْ كُفِيتَ ذَلِكَ ، وَدُعِيتَ إِلَى الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالشَّرَفِ  
وَالْكَفَاءَةِ ، أَلَا تُجِيبُ ؟

فَقَالَ :

- فَمَنْ هِيَ ؟

فَقَالَتْ :

- ( خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ) .

وَتَعَجَّبَ ( مُحَمَّدٌ ) ﷺ ، وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ :

- كَيْفَ لِي بِذَلِكَ ؟

فَقَالَتْ :

- عَلَى ذَلِكَ .

وَعِنْدَئِذٍ أَعْلَنَ الرَّسُولُ ﷺ قَبُولَهُ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَعْمَامِهِ  
لِيُشَاوِرَهُمْ فِي هَذَا الزَّوْاجِ وَالِاسْتِعْدَادَ لَهُ .

وَتَحَمَّسَ أَعْمَامُ النَّبِيِّ ﷺ لِهَذَا الزَّوْاجِ ، فَـ ( خَدِيجَةُ )  
امْرَأَةٌ شَرِيفَةٌ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ ، طَاهِرَةٌ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ،  
رَفِضَتْ الزَّوْاجَ مِنْ أَغْنِيَاءِ مَكَّةَ وَوُجْهَائِهَا ، كَمَا أَنَّ ( مُحَمَّدًا )  
هُوَ أَكْمَلُ شَبَابٍ مَكَّةَ عَقْلًا ، وَأَحْسَنُهُمْ سُلُوكًا .

وَذَهَبَ ( أَبُو طَالِبٍ ) مَعَ ابْنِ أَخِيهِ إِلَى أَعْمَامِ ( خَدِيجَةَ ) ،  
وَطَلَبَ مِنْهُمْ خِطْبَةَ ( خَدِيجَةَ ) لـ ( مُحَمَّدٍ ) ، وَقَالَ وَهُوَ



يذكر محاسن ابن أخيه :

- أمّا بعد ، فإنّ ( محمداً ) ممّن لا يُوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونُبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان في المال قلّة ، فإنما المال ظلّ زائل ، وإن ابنا له في ( خديجة بنت خويلد ) رغبة ، ولها فيه مثل ذلك !  
وزوجها عمّها ( عمر بن أسد ) بعد أن دفع لها رسول الله ﷺ عشرين ناقة مهوراً لها .





وبداً ( محمد ) ﷺ حياته الزوجية مع المرأة التي أحبتها حباً صادقاً ، وتمنت أن تصبح زوجة له ، لما كان يتمتع به من أخلاق عظيمة ، وأدب جم ، كما أنها كانت ترجو أن يصبح هو نبي هذه الأمة ، فقد كانت كل الدلائل تشير إلى ذلك . عاش الزوجان حياة هانئة سعيدة ، ورزقهما الله بالبنين والبنات ، فقد رزق الزوجان ( بالقاسم ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ) .

ولم يعكّر صفو حياتهما شيء ، إلا فقداهما لابنيهما ( القاسم ، وعبد الله ) ، وهما لا يزالان في فترة الرضاعة ، لكنهما صبرا واحتساباً ذلك عند الله ، فقد دخل الرسول ﷺ على ( خديجة ) وهي تبكي فسألها عن ذلك ، فقالت : يا ( محمد ) ، تذكرت ابني ( القاسم ) فبكيت ، وتمنيت لو عاش حتى يستكمل رضاعه .

فقال لها ( محمد ) ﷺ :

- إن له مرضعاً في الجنة تستكمل رضاعته .  
فقالت :

- لو كنت أعلم ذلك لهون علي .

فقال لها :



– إِنَّ شَيْئًا أَسْمَعْتُكَ صَوْتَهُ فِي الْجَنَّةِ .

فَقَالَتْ ( خَدِيجَةُ ) :

– بَلْ أَصْدَقُ مَا تَقُولُهُ وَأَثْقُبُكَ يَا ( مُحَمَّدٌ ) ...





وعادت الحياة مرة أخرى إلى طبيعتها ، فقد رضى الزوجان بقضاء الله ، والتفتا إلى البنات الأربع ، وأحاطاهن بالرعاية والحنان ، ما جعلهن يشعرن بالسكينة والاطمئنان .

كانت الحياة بين الزوجين مثالا صادقا للزواج الناجح الذى يقوم على الود والتفاهم الكامل ، فها هي ذى ( خديجة ) تقوم بدورها على أكمل وجه ، فتهيئ الجو لزوجها للتأمل والتفكير ، وتعينه على نوائب الدهر بمآلها ، وتخفف عنه آلامه بحسن إصغائها له ودوام الشاء عليه ، فكانت لا تنكر أبدا أنها هي التى سعت للزواج منه ، وتقول فى فخر :

- إني قد رغبت فيك لحسن خلقك ، وصدق حديثك .  
ولم يكن هذا الكلام يسعد الرسول ﷺ فحسب ، ولكنه كان يمنحه الثقة والاطمئنان ويتيح له الفرصة للتأمل فى الكون فى تلك المرحلة التى سبقت نزول الوحي عليه .

( تَمَّت )

الكتاب القادم

خديجة بنت خويلد ( ٢ )

خير نساء الجنة

رقم الإصدار : ٢٥٥٧٩ / ٢٠٠٠

الطبعة الأولى : ١٤٢٥ - ٢٠٠٤



٢

سَاءُ نِسَاءٍ

خَلْجَةُ بَذَتْ حَوْيِلًا

الجزء الثاني

خير نساء الجنة

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ما إن بلغ محمد ﷺ الأربعين ، حتى ألف الخلوة ، فكان يذهب إلى غار حراء يتعبد ويتأمل في عجائب الكون ، وكانت زوجته ( خديجة ) تهنيئ له الأجواء المناسبة لذلك ، فكانت تحوطه بالرعاية والهدوء وهو في البيت ، فإذا انطلق إلى غار حراء ، دعت له بالخير ، وظلت عناها عليه من بعيد ، ولا تكتفى بذلك بل كانت ترسل خلف زوجها من يحرسه ويرعاه ، وكانت تخرج بنفسها إليه ومعها غذاؤه وما يحتاج إليه .

وفي يوم سعيد ، نزل الوحي على محمد ﷺ ، ولم يكن هذا الحدث سهلاً على نفسه ، فقد عاد إلى بيته خائفاً ، وظل قلبه يرتجف ، وأسرعت ( خديجة ) نحوه ، تهدئ من روعه وتقول له :

- ما بك يا محمد ؟ هل أصابك مكروه ؟

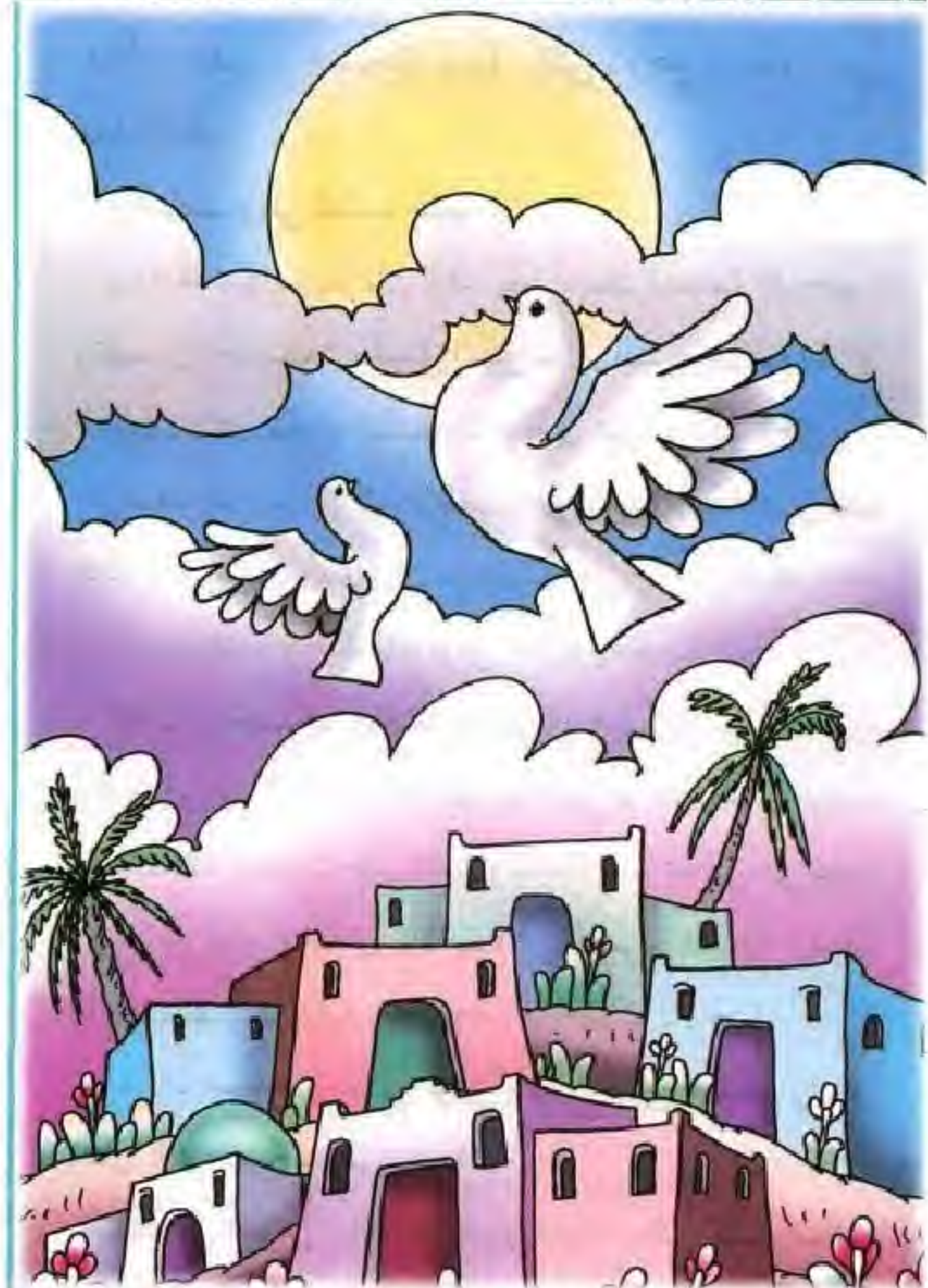
فقص عليها النبي ﷺ ما حدث ومُخاطبة الملك له ثم قال :

- لقد خشيت على نفسي !

لكن ( خديجة ) قالت في يقين واطمئنان :

- الله يرعانا يا (أبا القاسم) ، أبشراً يا بن عم واثبت ،







فَوَالَّذِي نَفْسُ (خديجة) بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .

وأضافت وهي تضمه إليها :

- والله ، لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ،  
وتصدق الحديث ، وتحمل الكل - أي الضعيف - وتقرى  
الضيف - أي تكرم الضيف - وتعين على نوائب الحق !  
وشعر محمد ﷺ بالاطمئنان والارتياح لكلام زوجته  
العذب الودود ، الذي أزال من نفسه كل خوف واضطراب ،  
وسكنت نفسه وخلد للنوم في هناءة وسعادة .

كانت (خديجة) خائفة على زوجها في واقع الأمر ،  
لكنها لم تشأ أن تظهر خوفها له حتى لا يتضاعف خوفه ،  
ولذلك فقد انتظرت حتى نام ، وذهبت مسرعة إلى ابن عمها  
(ورقة بن نوفل) الذي كان يقرأ في الكتب المقدسة ويعرف  
ما بها ، فقصت عليه (خديجة) ما حدث لزوجها .

وما إن سمع (ورقة بن نوفل) ذلك حتى انتفض واقفاً ،  
وقال له (خديجة) في بهجة :

- قدوس قدوس ، والذي نفسي بيده ، لئن كنت صادقة







فيما أخبرتنى به يا ( خديجة ) ، فإن زوجك قد نزل عليه  
الوحي الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة .

فقلت ( خديجة ) :

- أجل ، إني صادقة ورب الكعبة .

فقال لها ( ورقة ) :

- اذهبي إلى زوجك وبشريه ، وقولي له : فليثبت !

ولم تتمالك ( خديجة ) نفسها من السعادة ، فرجعت  
إلى رسول الله ﷺ وأخبرته بما قاله ابن عمها ( ورقة بن  
نوفل ) .

وخرج الرسول ﷺ يطوف بالكعبة تعبيراً عن شكره لله ،  
فلقيه هناك ( ورقة بن نوفل ) ، فحياه وسأله :

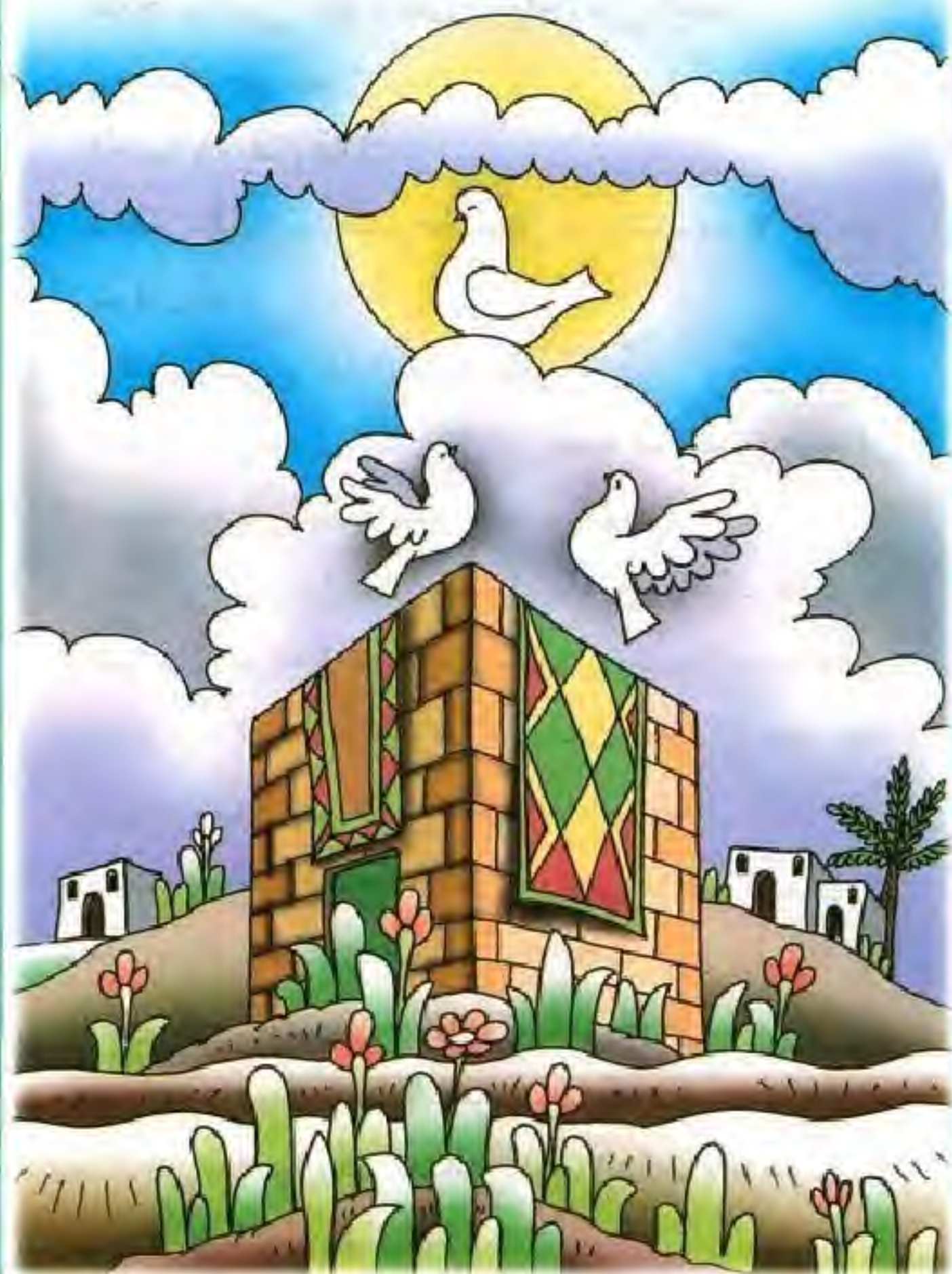
- يا بن أخي ، أخبرني بما رأيت وسمعت .

فأخبره الرسول ﷺ بخبر ما رأى وسمع ، فقال له  
( ورقة ) :

- هذا الناموس - أي الوحي - الذي نزل على موسى

ﷺ ، يا ليتني أكون حياً إذ يكذبك قومك ويؤذونك  
ويخرجونك .







فتعجب النبي ﷺ وسأل (ورقة) في دهشة :

- أو مخرجي هم ؟

فأجابه (ورقة) قائلاً :

- نعم . فإنه لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي .

ثم قال له :

- إن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

وانصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فوجد زوجته في

استقباله تصغي إليه وتشير عليه برأيها .

وبدأ الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ، وأمره الله أن

يدعو عشيرته الأقربين ، فدعا زوجته (خديجة) ،

وما أسرع ما استجابت للإسلام ووقفت بجوار زوجها تشد

من أزره وتعينه على تبليغ دعوة الله إلى الناس كافة .

كانت مكانة (خديجة) عند الله كبيرة ، فهي أول من آمن

بالله ورسوله ، فقد خرجت ذات يوم تبحث عن رسول الله ﷺ

بأعلى مكة ، فلقيها (جبريل) في صورة رجل ، فسألها عن

النبي ﷺ ، فهابته ، وخشيت أن يكون هذا الرجل إنما

يسأل عن زوجها لكي يغتاله ، فلما التقت بالرسول ﷺ

وأخبرته طمانها ، وقال لها :







- هو ( جبريل ) ، وقد أمرني أن أقرأ عليك السلام ، وقال :  
إن الله يقرأ على ( خديجة ) السلام .

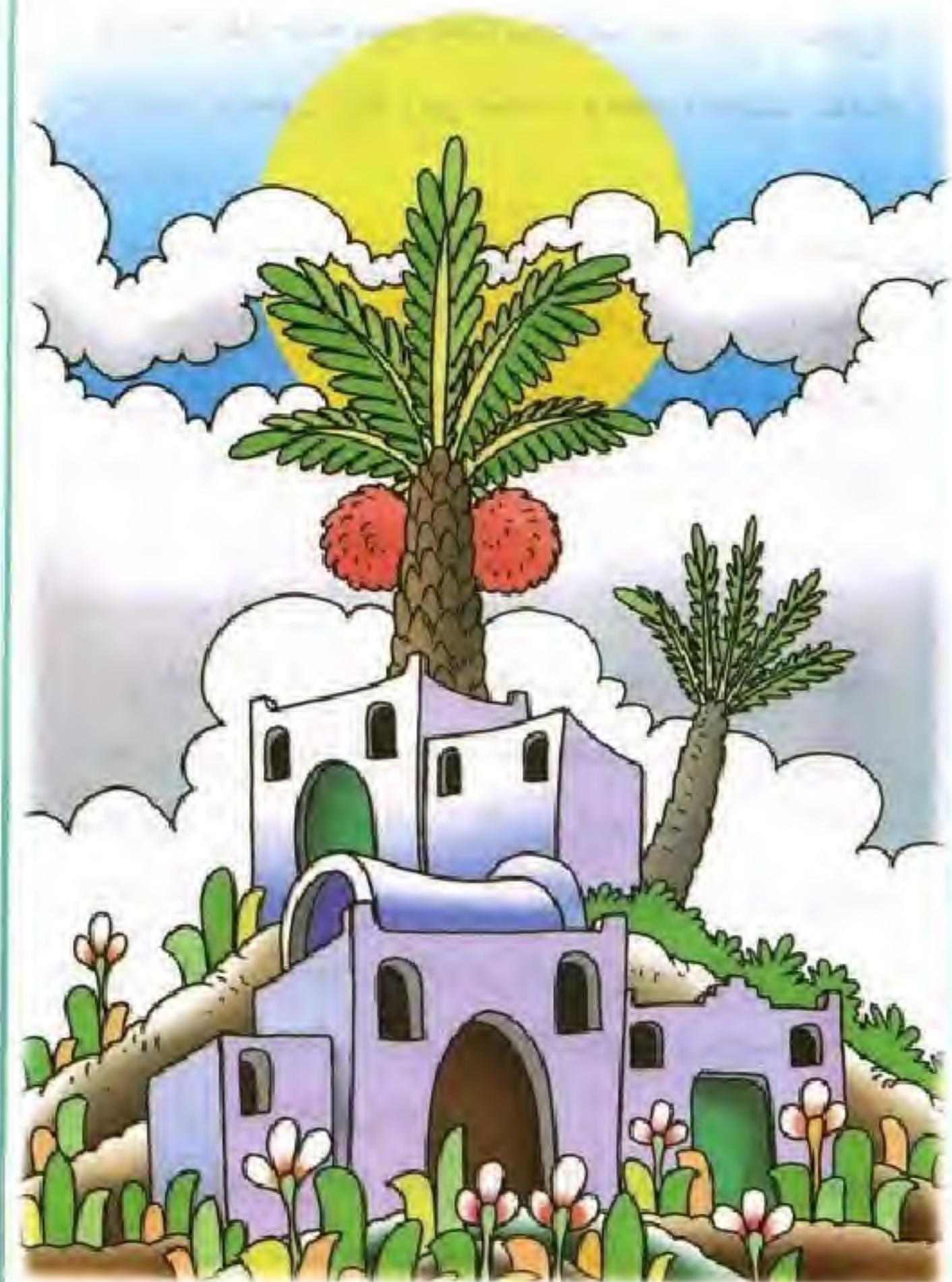
ولم تمالك ( خديجة ) نفسها من الفرحة وقالت :  
- إن الله هو السلام ، وعلى ( جبريل ) السلام ، وعليك  
السلام ورحمة الله !

ولم يكتف الرسول ﷺ بتبليغ السلام إلى زوجته من الله ،  
بل بشرها ببیت في الجنة جزاء ما صنعت ، وقال ﷺ :  
- أمرت أن أبشر ( خديجة ) ببیت في الجنة .

وبدأت المواجهة الصعبة بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ،  
حيث كذبوه وآذوه وأسمعوه ما يغضبه ، ولم يجد الرسول ﷺ  
ما ينسيه هذا الأذى ، إلا حين كان يجلس إلى ( خديجة )  
فتقف بجواره وتشد من أزره ، وتثبت على موقفه .

ولما عجز أهل مكة عن رد محمد ﷺ عن دعوته اتفقوا  
على مقاطعة هو و ( بنى هاشم ) وكل من آمن به ، فكتبوا  
بذلك كتاباً تعاهدوا فيه على ألا يبايعوهم ، ولا يدعوا سباً  
من أسباب الرزق يصل إليهم ، ولا يقبلوا منهم صلحاً ،  
ولا تأخذهم بهم رافة .







والتزم كفار مكة بهذا الكتاب ثلاث سنوات ، حاصروا خلالها الرسول ﷺ ومن معه ، ومنعوا عنهم الطعام والشراب .

وصمدت السيدة (خديجة) مع زوجها في هذا الحصار ، ورفضت أن تبقى في بيتها ، بينما يعاني زوجها وأصحابه الجوع والحرمان ، ولم تتردد (خديجة رضي الله عنها) في الخروج مع النبي ﷺ ، وهكذا تخلت عن دارها الحبيبة ، وقامت تتبع النبي ﷺ ، برغم ما كانت تعانيه من مرض ، فقد كانت تعاني آلام الشيخوخة .

وفي هذا الحصار اشتد البلاء بالرسول ﷺ ، وكان الصحابة يبحثون عن الطعام فلا يجدونه ، فقد رفض المشركون أن يبيعوه لهم مهما كان الثمن الذي يدفعونه فيه .

فقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) إذا أرادوا أن يشتروا طعاماً من السوق ، قام (أبو لهب) إلى التجار ، وقال لهم : - يامعشر التجار ، غالوا على أصحاب (محمد) حتى لا يحصلوا على ما يريدون .

فيغالي التجار فلا يقدر الصحابة على شراء الطعام ، فلا يجدون أمامهم سوى الصبر ، وأكل ورق الشجر .



وبقيت (خديجة رضي الله عنها) في الحصار ، صابرة مع زوجها النبي ﷺ ، ومحتملة لهذا الحصار الظالم الذي أنهك قواها ، ولم ترجع إلى بيتها إلا بعد أن تهاوى هذا الحصار أمام ذلك الإيمان الصادق ، وكانت طوال زمن الحصار نعم الزوجة الصابرة المحتسبة ، التي احتملت فوق طاقتها ، فقد كان عمرها قد قارب الخامسة والستين .





وبعد أن رجع محمد ﷺ من الشعب بعد أن انتهى الحصار الظالم ، لم تمض إلا شهور قليلة حتى أصابته في عام واحد فاجعتان ، كل واحدة أكبر من الأخرى ، فقد مات عمه (أبو طالب) ومن بعده زوجته (خديجة) ، فتأثر رسول الله ﷺ لموتهما تأثراً شديداً .

فقد كان عمه (أبو طالب) السند الذي يحميه من أذى قريش ، وكان المشركون يعملون له ألف حساب . أما (خديجة رضي الله عنها) فقد كانت بالنسبة لمحمد ﷺ هي السند الحقيقي بما كانت تمنحه من حبا وبرها ، ومن رقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها .

(خديجة) التي كانت تهون عليه كل شدة ، وتزيل من نفسه كل خشية ، والتي كانت ملاك رحمة ، يرى في عينيها وعلى ثغرها من معاني الإيمان بالله وبرسوله ما يزيده إيمانا بنفسه .

وبلغت متاعب الرسول ﷺ أقسى مداها في عام الحزن الذي ماتت فيه (خديجة) ومن قبلها مات عمه (أبو طالب) ، وظن المشركون أن الفرصة قد لاحت لهم بموت (أبي طالب) و(خديجة) ، فأخذوا يؤذون النبي ﷺ ، فقد اجتراً عليه الكفار ، فأسمعوه من الكلام ما لا يرضى ، وكان السفهاء



منهم عندما يجدونه في الطريق يرمون التراب على رأسه ،  
وكانت ابنته (فاطمة) كلما رأت ذلك مسحت عنه التراب  
وهي تبكي ، فيقول لها :  
- لا تبكي يا بنية ! فإن الله مانع أباك .  
ثم كان يردد قوله :  
- والله ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات  
(أبو طالب) !





وظل الرسول ﷺ وفيما لذكرى زوجته ، فكان لا يذبح شاة إلا ويأمر بإرسال بعضها إلى أصدقاء (خديجة) ، ويقول :  
- أرسلوا إلى أصدقاء (خديجة) ، إني لأحب حبیبها .  
لقد كانت السيدة (خديجة) ملء حياة النبي ﷺ وهي حية ، وكذلك كانت لا تغيب عن باله بعد أن ماتت ، حتى قالت عنها السيدة (عائشة) :  
- كانت (خديجة) عند رسول الله ﷺ كأن لم يكن في الدنيا امرأة سواها !

وحقاً ، لم يكن في حياة النبي ﷺ امرأة استطاعت أن تأسو جراحه ، وأن تهيب له الأجواء المناسبة للدعوة ، مثلما كانت السيدة (خديجة بنت خويلد رضي الله عنها) .  
ويكفي أن الرسول ﷺ قال أكثر من مرة :  
- خير نساؤها - أي الجنة - (خديجة بنت خويلد) ،  
وخير نساؤها (مريم بنت عمران) . [رواه البخاري]

(تمت)

الكتاب القادم  
سودة بنت زمعة

رلم الإبداع : ١٩٩٣ / ٢٠٠١